واثمرت دراساته في بحث عن (الشعر العبري) نشر سنة ١٧٧٣ ، ولم تكن دراسته من الناحية الدينية بل الانسانية ، محاولا ان يفهم حركة الروح الانسانية كما تمثلت في المدنيات الشرقية القديمة التي عاصرت الكتاب المقدس (٢٠) ، وعنى هردر بشكل خاص بدراسة فلسفة التاريخ ونشر بين سنتي ١٧٨٤ ـ ١٧٩١ ٠ اعظم مؤلفاته اطلاقا (اراء في فلسفة تاريخ الانسانية) ثم رسائله عن تقدم الانسانية سنة ١٧٩٣ وفي مؤلفه (صوت الشعوب) سنة ١٧٧٨ نشر مجموعة من الاناشيد الشعبية من مختلف البلدان والفضل يعزى لهردر في انشاء المدرسة التاريخية ، ويرى هرتز (٢١) ان مونتسيكيو وهردر هما اللذان اثارا الحس التاريخي لدى هيجل ٠

وقد قدم هردر منحى جديدا في دراسته للادب وتاريخ اللغة ، فقد عنيبابراز الجانب القومي وتتبع كل مرحلة تاريخية من مراحل نمو الشعوب وتطورها ، وصولا الى الاسس التي تقوم عليها عبقرية الشعوب ، وفي رأيه ان لكل شعب خصائصه التي يتميز بها عن غيره شأن الافراد وان الثمار التي تنبت من الاعماق ، ومن تلقاء نفسها هي التي تفصح عن عبقرية الشعب ، وان كل تقليد او خضوع لمؤثرات خارجية او اجنبية تشوه شخصية الشعوب وفكرها ٠

ويرتبط بهذا المنهج ايضا القول بان اللغة او لسان الشعب ، هي أداته الاساسية في الافصاح عن عبقريته ، وفي تجسيدها لروح الشعب ، ومزاجه واحساسيه وفكره ، وتتبع الاطوار التي تمر بها اللغة يعني التعرف على تاريخ الشعوب ٠

والامة في رأي هردر ان هي الا كائن حي ، وجسم نابض له وجوده الذاتي والبدائي ، وتتمتع بغريزة حية نشطة وعبقرية خاصة تفصح عن نفسها تلقائيا في لغة هذا الكائن وعاداته البدائية واخلاقياته ، وبذلك اصبحت القومية كائنا طبيعيا ، من صنع الصدفة ولا ارادة لاحد فيه ولا حيلة لانسان ازاءه ، وله حياته التاريخية (٢٢) ٠

ومفهوم هردر عن القومية يختلف بلا شك عن نظرية روسو وحركة الاستنارة عموما ٠ وقد انتشر مفهومه في المانيا بصورة مزدوجة : في شكل الحركة الرومانسية في الادب معتمدة على عناصر الحياة البدائية والتاريخ الالماني ثم في شكل حركة علمية قوامها فقهاء اللغة والمؤرخين الذين يدرسون تاريخ الاديان والشعوب على اساس ارتكاز عبقرية الشعوب على لغاتها الاصلية ٠ وعلى الرغم من كل الجوانب الايجابية في فكر هردر ، الا ان تأثيره الضخم في المانيا كان من العوامل الهامة في ارتداد الفكر الالماني ونكوصه على عقبيه ، من فلسفة التنوير العقلانية فنظريته التاريخية والقومية تنتهي اخر الامر الى لا عقلانية مطلقة ، وسيطرة قوى غريزية على حركة الامة ٠ والانسانية